مجمع سلطان العلماء
Sultan Ulema Derengi

مختصر كتاب: تأسيس عقلية الطفل

للدكتور: عبد الكريم بكار

اختصار: رزان عبد المجيد البيانوني

اختصار كتاب

تأسيس عقلية الطفل

الدكتور: عبد الكريم بكار

عرض واختصار

اختصار: رزان عبد المجيد البيانوني

جميع الحقوق محفوظة

1445 هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد ذكر فيه، إن الله من جعل هذه الدنيا داراً للابتلاء والاختبار، وإن من أشد ما ابتلينا به القيام بحقوق الأهل والأبناء وتوجيههم، والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم، والحقيقة أنه لا يوازي العمل الشاق الذي يقوم به المربون إلا ذلك النبلُ الذي تنطوي عليه نفوس المعلمين والآباء الناصحين، ولا يخفف من الشعور بأثقال التربية إلا ما ينتظره المربون المخلصون من مثوبة الله تعالى وحسن جزائه ومعروفه، ولهذا فإن إرهاق النفس واستنفاد الطاقة الروحية في التربية والتعليم، من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى.

وإن كثيراً من الآباء والأمهات يعولون على المدرسة في تربية أبنائهم بوصفها المؤسسة الأفضل تأهيلاً لمعالجة مسائل التربية، وهذا يدفع الأبوين إلى التراخي في القيام بواجبهما، وتأجيل ما عليهما القيام به أملاً في توليه من قبل المعلمين بعد حين، وهذا المفهوم المستبطن لدى كثير من الناس ترك آثاراً سلبية وسيئة على اهتمام المربين في البيوت، وأضعف من الدور الرئيس الذي كان عليهم القيام به في تهذيب أبنائهم .

إن هناك سناً مثالية لزراعة بعض القيم والمفاهيم في نفوس الأطفال وعقولهم، وإن إلقاء عبء التربية على المدرسة سيعني ضياع كثير من الفرص الذهبية من أيدي الأبوين، أضف إلى هذا أن كثيراً من المدرسين ليس لديهم الوقت ولا الرغبة في القيام بدور المربي الجيد؛ لأنهم يعتقدون أن واجبهم الأساسي هو التعليم، وليس التربية، ومهما يكن هذا المعتقد خاطئاً، فإنه لا بد للأسر من أن تعمل على استعادة دورها الريادي في تنشئة أبنائها .

إن الهدف من التربية هو تنشئة جيل ملتزم بتعاليم دينه قادر على التعامل مع معطيات زمانه منضبط ذاتياً، ومقدر للمسؤوليات الملقاة على عاتقه، وهذا لن يتم إلا من خلال وجود مربين، يملكون ثقافة تربوية جيدة، ولهم وضعية سلوكية قويمة، والحقيقة أن الطفل الجيد هو الذي يتعرض لتربية جيدة، والتربية الجيدة تحتاج إلى اهتمام ورعاية ومتابعة .

ويرى المؤلف أن المربون يحتاجون أمرين مهمين وهما:

1. تعلم الأساليب والممارسات الصحيحة في تربية الأبناء، وأن يسلكوا المسالك، ويقفوا المواقف التي تساعد الصغار على الاستقامة، وتمثل القيم والأفكار والمفاهيم الصحيحة.

2. معرفة عدد جيد من المفاهيم والرؤى التي تتصل بجوانب الحياة المختلفة، مما يوجه السلوك، وينظم ردود الأفعال، ويصوغ التوجهات العامة للأبناء .

وفرّق بين الدماغ والعقل والعقلية

فالعقل يقابل الغريزة، والإنسان حين يتصرف تبعاً لغرائزه، فإنه يسير على طريق الحيوان، وحين يفكر ويحلل ويقدر، فإنه يتجاوب مع الخصوصية التي ميزه الله تعالى بها على سائر المخلوقات، ويعمق بالتالي معنى وجوده، كما يحسن وضعيته في الكون.

هذه الحقيقة تجعلنا نطرح على أنفسنا السؤال التالي: لماذا نجد أمماً تبدع وتخترع وتنتج، ونجد أمماً تستهلك وتشتري، وتقف مشدوهة تجاه فنون الآخرين وعلومهم وإبداعاتهم؟

الجواب هو أن الإبداعات والإنجازات، لا يمكن أن تنشأ، وتنتعش في بيئات يسيطر عليها الجهل والكسل والفوضى والظلم والاستبداد والانغلاق والإهمال، إن

الإبداع يحتاج إلى مؤسسات تعليمية ممتازة، وإلى أسر مهتمة، وإلى حكومات وشركات تنفق على البحث العلمي بسخاء.

أما العقلية إذ إن عقلية الواحد منا ليست ما لديه من أفكار ومعلومات، وإنما هي أعم من ذلك، إنها تشمل المصطلحات والتعريفات التي نعتمدها في التعامل مع الأشياء إلى جانب شمولها للطرق والأساليب التي نفكر من خلالها.

ثم قسّم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول: يتضمن توطئة حول استجابة الدماغ للتعليم والتدريب وحول أهمية القراءة في ذلك، كما تضمن كلاماً موجزاً عن وعي الطفل بذاته وعن بعض المبادئ الحياتية العامة. القسم الثاني: وقد تحدث فيه عن الطفل المفكر وأنواع التفكير وتكوين المفاهيم.

القسم الأول

١ – توطئة

٢ - وعي الطفل بذاته

3 -مبادئ حياتية عامة

ذكر في التوطئة عن أدوات العقل التي هي عبارة عن رموز لغوية وتعريفات ومصطلحات وأفكار ومفاهيم ونظريات ورؤى ومعادلات، وكما أن الحداد يجد نفسه عاجزاً عن التعامل مع الحديد من غير سندان ومطرقة، كذلك العقل يجد نفسه عاجزاً عن التفكير في أمور لا يملك معلومات وأفكاراً عنها.

إن مرحلة الطفولة المبكرة تقع بين ثلاث وست سنوات، وقد فطر الله الخالق الطفل على حب التساؤل في هذه السن كي يزود عقله بأكبر قدر ممكن من المفاهيم

والمعلومات، وقد أطلق أحد الباحثين على هذه المرحلة اسم (مرحلة التساؤل) ففي مرحلة الطفولة المبكرة تبدأ المفاهيم بالتشكل، والمفاهيم التي تتبلور في ذهن الطفل أولاً هي المفاهيم المرتبطة بالأشياء المحسوسة والمشاهدة، وذلك مثل مفهوم الزمن و المكان، والمفاهيم المتعلقة بالأشكال الهندسية المربع والمستطيل والدائرة، وأيضاً المفاهيم المرتبطة بالمأكولات والمشروبات والملبوسات، وتلك المرتبطة بالأب والأم والجدة والجار.

ودماغ الطفل ينمو في الحجم والوزن حين يستجيب للتحديات والمواقف الجديدة التي نقدمها إليه، فعقول الأطفال تنمو من خلال ألعاب الذكاء، ومن خلال الأنشطة الإيجابية مثل القراءة، أما مع الأنشطة السلبية مثل مشاهدة التلفاز، فإنها تفقد المحفز، وتبقى دون نمو ملحوظ.

الحوار مع الأطفال وتشجيعهم على القراءة وزيارة المكتبات والمعارض والمتاحف، وشرح ما يصعب عليهم استيعابه، وتوفر ألعاب الذكاء لديهم، كل هذا يساعد على امتلاك الصغار لقدرات ذهنية جديدة.

وحث كثيراً على تعويد الأطفال على القراءة فقال القراءة هي أقوى وسائل النمو الفكري حيوية، ولهذا فإننا في حاجة إلى أن نجعلها في أعلى سلم أولوياتنا التربوية والتعليمية، وذكر دراسات تثبت هذه الفكرة وتقويها، ونبه إلى ضرورة ضبط وقت التلفاز وما في حكمه الآن إلى أدنى الدرجات، لنحصل على عقلية سليمة .

إن المعلومات والحقائق تشكل جوهر الذكاء الإنساني، فالجاهل بقضية من القضايا مهما كان متفوقاً في إمكاناته الذهنية يبدو أشبه بأبله حين يتحدث فيها، وذلك لأن العقل البشري لا يملك إمكانات كبيرة على توليد المعلومات؛ بسبب أن وظيفته الأساسية تتمثل في الاشتغال على المعلومات المتوفرة، تماماً كما يشتغل الخياط على القماش وصانع الحلوى على الدقيق والسكر، ويبدو لي أن كثيراً من الآباء والأمهات غير

قادرين على استيعاب هذه الحقيقة والبناء عليها، ولهذا فإن الاهتمام بتعويد الأبناء عادة القراءة منذ الصغر ما زال ضعيفاً لدينا للغاية !

وهذه بعض النصائح تساعد بتعويد الأبناء على القراءة :

١ -اصطحب الأطفال إلى المكتبة مرتين في الشهر، ودعهم يختارون بأنفسهم الكتب التي يحبون قراءتها.

٢ -وجود مكتبة منزلية صغيرة لدى كل أسرة، يساهم في تأسيسها جميع أفراد الأسرة.

٣ -لابد أن نقوم نحن بالقراءة للطفل قبل أن يبدأ بمرحلة القراءة لنفسه، وهذا يمكن أن يبدأ والطفل في سن الثالثة، لنقرأ له بعض القصص والحكايات المشتملة على بعض المعاني اللطيفة وبعض القيم والأخلاق الحميدة، ولنحاول شرح ما نقرؤه له حتى نؤسس لعاطفة الارتباط بالقراءة والكتاب.

4ـ تشجيع الأبناء عن الحديث عن الأشياء التي قرؤوها، فإذا قرأ الطفل قصة نلقى عليه أسئلة عن اسم المؤلف وعن المحور الذي تدور حوله القصة والرسالة التي يود كاتبها إيصالها إلى القارئ ثم نقوم نحن بإعادة صياغة أفكار الصغير، وشرح بعض المضامين التي تحدث عنها، وربط ما يمكن ربطه بالإيمان بالله تعالى وبالمبادئ والقيم التي نؤمن بها.

وفي نهاية كل فكرة يعرضها وينتهي منها، يذكر الخلاصات التي وردت ثم تطبيقات وتكليفات على المربي القيام بها مع طفله، أعرض منها بعضها..

تطبيقات وتدريبات

1ـ وضح للطفل أنه ليس هناك شخص يملك كل الأجوبة على كل التساؤلات.

2 ـ دع الطفل يحاول أن يشرح لك معنى (الأمانة) واطلب منه ذكر بعض الأمثلة.

وعي الطفل بذاته

تعرُّف الطفل على ذاته من خلال أبويه وإخوته وجيرانه وزملائه وأصدقائه، فإن على المربين أن يشجعوا الأطفال على المشاركة في المناقشات العائلية، وأن يدعموا أسلوب التدريس الحواري داخل الفصول الدراسية، كما أن عليهم أن يسمحوا للصغار في المشاركة في اتخاذ بعض القرارات الصغيرة، وإتاحة الفرصة لهم، لينتقدوا الأشياء التي لا يرونها مناسبة، إن التفاعل على هذا النحو هو الذي يرفع سوية فهم الأطفال لذواتهم وإمكاناتهم، وهو الذي يساعدهم على بلورة رؤية خاصة للحياة والأحياء.

ثم عرض لبعض المفاهيم التي لابد أن يكون الطفل على وعي بها:

1. أول ما ينبغي ترسيخه في عقل الطفل، هو أنه أحد مخلوقات الله تعالى، كما أن حياته ومصيره في يده سبحانه فهو المتصرف في هذا الكون.

2. العمل على تشجيع الطفل على قبول ذاته، حيث إن في ذات المرء وفي ظروف أهله وأوضاعهم أموراً يصعب، أو يستحيل تغييرها، ومن ثم فينبغي للصغير أن يتكيف معها، ويحاول الارتقاء والتحسن في إطار وجودها كلون البشرة، ومكان الولادة والأوضاع الاجتماعية والمادية، فلابد أن نوضح للطفل أنه ليست هناك وضعية لشخص أولأسرة تعد مركزية، وغيرها هامشياً أو تعد أصلاً، وغيرها فرعاً أو صورة، وهذا مهم - جداً.

ولابد أن نشرح للطفل بوسائل متعددة مسألة عقدية ومبدئية، هي: أننا مسلمون، وأن المسلم يعتقد أن هذه الحياة هي دار اختبار وامتحان، وكل الناس ممتحن الجميل بجماله، والقبيح بقبحه، والغني بغناه، والفقير بفقره، والذكي بذكائه والغبي بغبائه، المهم في نظرنا نحن المسلمين، ليس نوعية الابتلاء، وإنما النجاح في الابتلاء.

هناك حقيقة مهمة وأصيلة تحكم كل جوانب حياتنا الشخصية والعامة، وهي أنه ليس هناك شيء بمفرده يحقق السعادة، كما أنه ليس هناك شيء بمفرده يحقق الشقاء، كل عامل من العوامل الإيجابية يحتاج إلى مؤازرة العوامل الأخرى حتى يكون فعالاً، وكل عامل سلبي يكون أيضاً عاجزاً عن تدمير حياة الشخص إلا إذا انضمت إليه عوامل سلبية أخرى.

3ـ علينا ألا نكتفي بالشرح النظري لأي مفهوم نريد إيصاله للصغار؛ بسبب ضعف قدرتهم على فهم المعاني المجردة، وربما فهموا بشكل خاطئ، فلابد من ضرب الكثير من الأمثلة، والتي تكون قريبة من عالمه فنقول له: ابن جارنا فلان مع أنه معاق إلا أنه الأول على زملائه، والأسرة الفلانية فقيرة لكنك تحس أن أولادها سعداء، وفي المقابل هناك أسر كثيرة، تملك المال لكن الشجار والنزاع شيء مستمر في حياتها وهكذا.

4ـ جاء جميع الأنبياء عليهم السلام بفكرة محدودية الإنسان، فهمه محدود، إدراكه محدود قدراته محدودة، سيطرته على أهوائه محدودة، وقدرته على التمتع بالأشياء أيضاً محدودة، كما أن حياته ومدة بقائه على هذه الأرض محدودة.

ترسيخ هذه الفكرة في وعي الأطفال مهمة اليوم؛ لأن العلمانية تتحدث بوقاحة متناهية عن الإنسان الخارق والمكتشف القادر على كل شيء مما يولد روح التمرد لدى الأجيال الجديدة.

نحن المسلمين نعتقد بمحدودية الإنسان؛ لأن كل الوقائع تشهد بذلك، ويكفي أن نقول: إن كل ما بذل من جهد لإيقاف تدهور صحة الإنسان مع تقدم السن، لم يتمكن من إيقاف تحول شعر الرأس إلى البياض.

فائدة ترسيخ هذا المفهوم لدى الصغير هي: جعله يشعر بالعبودية والضعف أمام الخالق سبحانه وجعله يطلب منه المعونة والهداية والتوفيق.

5ـ الإنسان محدود وضعيف لكنه مكرم وقادر أن يفعل الكثير الكثير من الأمور النافعة والعظيمة، حتى إن أكثر الناس جدية وأعظمهم إنجازاً يستطيعون - إن أرادوا - أن يفعلوا ما هو أكثر وأجود مما يفعلون الآن، لنقل للطفل: إن ترتيبك على مدرستك الآن هو الخامس، وتستطيع في الفصل القادم أن تكون الرابع، لكن هذا يتطلب منك كذا وكذا.

6ـ بين أحكام العقل وضغوطات العواطف نوع من التداخل والاختلاف، وأعتقد أن الطفل في حاجة إلى مساعدتنا في وضع بعض الحواجز بينها، إن قدرة الطفل على ضبط عواطفه محدودة، مما يجعل وقوعه في الكذب سهلاً، كما يجعل اختلاط الحقيقة بالخيال لديه أمراً وارداً، نحن مطالبون ألا نسكت على ذلك، وإنما نراجع الطفل كلما أحسسنا بأنه يتكلم كلاماً غير واقعي، أو غير معقول، ونحثه على التزام الصدق.

7ـ إن الشيء الذي علينا أن نطلبه من الصغار، ونطلبه من أنفسنا أيضاً، هو إدانة الخطأ، وليس إدانة الشخصية.

8ـ في شخصية كل واحد منا نقاط قوة ونقاط ضعف، وهذه النقاط قد تكون على مستوى الشكل، وقد تكون على مستوى القدرات والمواهب والطباع والأخلاق، وواجب المربي تذكيره بنقاط قوته ومساعدته على صقلها وتوظيفها، ومساعدته على تجاوز ما لديه من نقاط ضعف عن طريق التخلص منها، أو عن طريق محاولة التعويض.

9ـ لابد أن يعي الطفل أننا كلنا خطاؤون ونتعلم على نقد الذات، وهناك أمور يجب مراعاتها في هذا:

أ. تحتاج الأسرة كي تشجع صغارها على الاعتراف بالخطأ إلى إرساء تقاليد تجعل من السهل على أي واحد من أفرادها أن يعترف بخطئه، وأن يعتذر عنه أيضاً، وعليه تعود استخدام كلمات مثل: عفواً، آسف، لم أنتبه، لم أكن أعرف، هذه الكلمات والتعبيرات حين تشيع في بيئة، يشعر فيها الصغار أن الكبار ليسوا مثاليين ولا معصومين، وليسوا معاندين أو مكابرين، ولهذا فإن عليهم أن يكونوا مثلهم.

ب. الأسرة مطالبة بأن تجعل من المفاتحة والمصارحة أسلوباً أساسياً في التعامل مع بعضها الأب والأم يصارحان الأبناء والبنات، ويتحدثان معهم حول معظم الشأن العام الذي يخص الأسرة ويعودان الصغار أيضاً أن يتحدثوا عن مشكلاتهم.

ج. لا ينبغي أن تكون عقوبة الأهل لأبنائهم شديدة وقاسية إلى درجة دفعهم إلى ستر الأخطاء والوقوع في الكذب أو الهروب من المنزل، للتخلص من المواجهة واللوم الشديد.

د. عدم السكوت وحل المشكلات أول بأول من قبل المربين تجاه أولادهم، حتى لا يؤدي هذا للانفجار في لحظة ما، ثم نجلس معه لنفكر في إيجاد حل للورطة التي وجد نفسه فيها، ونفكر أيضاً في استخلاص العبرة من ذلك الخطأ أو تلك الخطيئة، ولا يكفي هذا، بل لا بد من التفكير في الاحتياطات التي على الطفل أن يأخذها حتى لا يتكرر منه نفس الخطأ .

إن مبدأ التوبة والمراجعة وتسليط الضوء على أشكال القصور مبدأ من المبادئ الإسلامية والحضارية العظيمة، وهو يحتاج إلى تطبيق وتفعيل ليس في المجال التربوي وحده، وإنما في كل مجالات الحياة.

تذكر

1ـ حب الوالدين للطفل، وتعاطفهما معه، وإشعاره بالأمن، من الأمور التي تترك تأثيراً ممتازاً في تكوين مفهوم الذات لديه .

2ـ الإنسان محدود، ووجوده على هذه الأرض مؤقت، لكنه ليس عاجزاً ولا ضئيلاً، وقد كرمه الله تعالى وأعطاه إمكانات كبيرة لعمل الكثير من الأشياء العظيمة.

تطبيقات

1. الإكثار من حمد الأبوين لله تعالى والثناء عليه والجهر بالاسترجاع عند المصيبة، يرسخ لدى الطفل عقيدة العبودية لله.

2. اذكر أمام الطفل الأشياء التي لا يستطيع القيام بها من أجل ترسيخ فكرة المحدودية لديه .

3. ينبغي أن تشتمل مكتبة المنزل على كتيبات تحكي السيرة الذاتية لعدد من عظماء الأمة، ولاسيما الذين نشأوا في ظروف صعبة.

مبادئ حياتية عامة

إن التحدي الذي يواجه المربي هو العثور على أساليب سهلة يستوعبها الصغار والعثور على الفرصة المناسبة للتحدث إليهم، إذ إن وجود المناسبة، يجعل استعداد الصغار لقبولها والتفاعل معها أكبر.

من أهم هذه المبادئ

١ -مهما عرفنا، فيظل ما نعرفه قليلاً بالنسبة إلى ما جهله

القرآن الكريم يقرر ضآلة ما لدينا من معرفة حين يقول: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) } سورة الإسراء.

فلنشرح هذه المسألة للأطفال عن طريق طرح الأسئلة، حيث إننا نجد أن هناك حيثيات كثيرة ليس للسؤال عنها أي جواب.

مثلاً: طفل في العاشرة من عمره، في يده كتاب يمكن أن نوجه إليه أسئلة كثيرة حوله وهو يجتهد في الإجابة، ويدور الحوار على النحو الآتي:

ما اسم هذا الكتاب ومن مؤلفه؟ وكم عدد صفحاته؟ ينظر الطفل إلى الغلاف ويقول اسمه كذا، ومؤلفه هو فلان، ثم يقوم بتقليب صفحاته ليعرف عددها، ثم يخبرنا عنها، ويمكن أن يكون هذا الحوار:

ـ هل هذا كتاب فقه؟

ـ نعم.

ـ كم مرة طبع هذا الكتاب؟ لا أعرف.

طبع خمس مرات.

ـ كم شخصاً قرأ هذا الكتاب؟

ونحن أيضاً لا نعرف.

ـ كم شخصاً استفاد من هذا الكتاب؟

نحن أيضاً لا نعرف.

أسئلة كثيرة يمكن أن نلقيها على الطفل حول ذلك الكتاب، ويجد نفسه عاجزاً عن الإجابة عنها، وهذا معنى قولنا: إن الحقيقة طبقات، وقولنا: إن في كل ظاهرة عناصر غيبية ليس في إمكان البشر معرفتها .

الموقف الموضوعي الذي يجب أن نعلمه للأطفال تجاه هذه الظاهرة الكبرى هو:

ـ التواضع الله تعالى والاعتراف بضعفنا ومحدودية علمنا .

ـ عدم ادعاء معرفة ما لا نعلمه.

ـ بذل الجهد لنحصل على أكبر قدر من العلم النافع .

ـ ما دمنا لن نستطيع تعلم كل شيء، فإن علينا إذن أن نتعلم ما هو أعظم أهمية وأكثر إلحاحاً.

٢ -لكل شيء طاقة على التحمل: كل مخلوقات الله مهما كانت عظيمة وقوية تظل محدودة، ولها إمكانات محدودة، مهما كان بصر المرء حاداً، فإنه يرى الأشياء مادامت في مدى معين، علينا أن نسوق بعض الأمثلة، الحديد الذي نضعه في أعمدة الأبنية وأسقف المنازل طاقة محدودة على التحمل مهما كان ذلك الحديد غليظاً وثقيلاً وصلباً، وإذا حملناه فوق طاقته، فإنه سينحني في النهاية ونفقد مع انحنائه ميزاته ووظائفه التي استخدمناه من أجلها، وهذا شيء ملموس ومشاهد.

-3 لكل شيء ثمن أن يعي هذه الحياة دار ابتلاء، ابتلاء بالنعماء والسراء، وابتلاء بالآلام والشدائد والكروب، ولهذا فإن كل واحد منا مبتلى ومختبر، من المهم أن يعي الأطفال هذه المسألة في وقت مبكر؛ لأننا نريد أن تدخل في التكوين العميق لعقولهم ونفوسهم بسبب أهميتها البالغة في توجيه السلوك، وتنظيم ردود الأفعال، يجب أن نوضح للأطفال أنه ليس هناك وضعية من الوضعيات تحوز كل الميزات، كما أنه ليس هناك

وضعية، فيها كل العيوب والسلبيات، وإن أي وضعية نتمتع بإيجابياتها، علينا أن نكون على حذر من الوقوع في سلبياتها، فمثلاً: حين نتمتع بألوان الأطعمة، ونأكل بشره وشهية من غير قيود، فإننا نشعر باللذة وشيء من النشوة، لكن علينا أن نتذكر أن هذا لن يكون من غير ثمن ولا سيما مع تقدم السن، حيث إن من المتوقع أن نصاب بالسمنة وزيارة الوزن والتي تجلب معها سلسلة من الأمراض الخطيرة.

٤ -لا حدود لإشباع الرغبات: هذا مبدأ يتصل بالطبيعة البشرية، فالإنسان ذو طموحات واسعة، لا تتوقف عند حدود، ومهما أعطي من طول العمر، وقوة البدن، وجمال الشكل وكثرة المال ونفوذ الجاه فإنه يظل يتطلع إلى المزيد، وقد عبر عن هذه الحقيقة القرآن الكريم حيث قال سبحانه:{ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ } سورة فصلت، كما عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم و(لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ الثَّانِي، وَلَوْ كَانَ لَهُ الثَّانِي لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ الثَّالِثُ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ)

لنلقن الأطفال فكرة أن الشعور بالعوز نحو الكثير من مشتهياتهم يظل ملازماً لهم، وكل الأشياء التي يتطلعون إلى الحصول عليها ستبدو حين تصبح في حوزتهم أقل إمتاعاً مما كانوا يتوقعون، ولهذا فإن على كل واحد منهم أن يتناول مرغوباته باعتدال وبطريقة مشروعة، إن الطفل ابن العاشرة يستطيع فهم هذا المبدأ بسهولة من خلال تذكيره ببعض الأشياء التي كان يظن أنه إذا حصل عليها، فإنه لن يطلب أي شيء آخر، وكيف أنه حين صارت في يده أخذ يتطلع إلى ما هو أكثر منها.

٥ -معظم الأشياء والأحداث قابل لأن يرى بطرق مختلفة: الناس لا ينظرون دائماً إلى الأشياء والأحداث بطريقة موحدة أو مجردة وإنما ينظرون إليها من زوايا مختلفة ومنظورات متباينة، ولا يعني هذا أن كل الناس على صواب في تفسير الأحداث وتحديد

مواقفهم من الأشياء، وإنما يعني أن كثيراً من الحقائق ليس صلباً وواضحاً بالقدر المطلوب لتوحيد الرؤى والآراء حوله.

الغرض من هذه الفكرة هو مساعدة الطفل على تأسيس رؤية خاصة به و مساعدته كذلك على جعل أفكاره تتسم بالإيجابية والتفاؤل، كما أن استيعاب هذا المبدأ يجعل الطفل أكثر تسامحاً تجاه المخالفين.

ـ حين تصطدم سيارتان، فإن صاحبيهما يتأذيان من ذلك، وينظران إلى ما حدث على أنه شر أو مصيبة، أما(السمكري الذي سيتولى إصلاحهما، فإنه ينظر إلى ذلك على أنه باب رزق وفرصة لتشغيل عماله ! إن الأب الذي ينوء بنفقات أسرة كبيرة، قد يرى في إخراج ابنه الصغير من المدرسة لمساعدته في مزرعته أو متجره شيئاً ضرورياً، لكن الأقرباء والأصدقاء يرون في ذلك جناية على الصغير وعملاً مؤذياً على المدى البعيد، وما ذلك إلا لأنه ينظر من زاوية والآخرون ينظرون من زاوية أخرى، الأب حين يقسو على ابنه وينزل به العقوبة، يشعر بأن تحمله لمسؤولية التربية يوجب عليه ذلك، أما الأم والجدة والجيران، فقد يرون في أسلوبه غلظة غير سائغة وهكذا.

إن الرسالة التي سنحرص على إيصالها للأطفال من خلال هذا المفهوم أو المبدأ، أن المعايير التي يستخدمها الناس في تقويم الأشياء والأحداث والمواقف ليست موحدة، وبالتالي فإنه إذا اختلف شخصان في تحليل حدث من الأحداث، فقد يكون الحق مع أحدهما، وقد يكون مع كل واحد منهما شيء منه، وقد يكون مع شخص ثالث، ولهذا فإن علينا أن نتعامل مع الاختلاف برحابة صدر، وكما أن نظرة الناس للأشياء والأحداث تختلف، فإن مصالحهم أيضاً تختلف، واختلاف المصالح شيء مشروع، والمهم دائماً أن نصل إلى مصالحنا بطرق مشروعة وغير عنيفة.

6 - صدمات الحياة تكون كبيرة ثم تصغر: هذه سنة من سنن الله تعالى في الخلق لكن من الواضح أن البارئ – تباركت أسماؤه – قد زودنا بإمكانات هائلة للتكيف مع المصائب والآلام وكل المزعجات، وهذا من الأمور الملموسة، فالألم الذي نواجهه في اللحظة الأولى لوقوع الضراء، يكون في الساعة الثانية أقل، وفي الساعة الثالثة أقل وأقل وهكذا يتراجع شيئاً فشيئاً إلى أن يتلاشى، وبعد ذلك ننظر إليه، وكأنه كان شيئاً طبيعياً، بل ربما أدركنا ما فيه من إيجابيات، ولهذا فالتماسك المطلوب من الواحد منا هو التماسك في لحظة وقوع المصيبة، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» وقال أيضاً: «الصابر الصابر عند الصدمة الأولى .«

الطفل حتى يستوعب هذا المعنى قد يحتاج إلى أن نذكر له بعض الحوادث التي اطلع عليها، وذلك كأن نذكره بما قاله فلان ابن الجيران حين رسب في الامتحان، وبما قاله ابن عمه فلان حين فقد أمه، وما قاله فلان من الأصدقاء حين فقد كل ماله، إن كل أولئك عبروا عن مشاعر مفعمة باليأس والألم، لكن إذا نظر إليهم الآن، فسيجد أن كل شيء قد عاد إلى طبيعته.

7ـ لا حلول كاملة في وسط غير كامل: هذا المبدأ قائم على عدد من المعطيات والاعتبارات، من أهمها الآتي:

أ- طموحاتنا وأحلامنا واسعة جداً، فنحن نريد أن نحصل على كل شيء، ونود إذا وقعنا في مشكلة أن نتخلص منها على نحو كامل، وكأن شيئاً لم يكن، ونريد لإنجازاتنا أن تكون في القمة وخالية من كل الشوائب.

ب ـ إذا كانت أخيلتنا جامحة، وإراداتنا طليقة، فإن قدراتنا محدودة، فلان يحب الطعام ويتلذذ به، ويود لو أنه جلس على كل وجبة ساعة وهو يلتهم الطيبات، لكن يجد بعد فترة قصيرة، أن معدته امتلأت ولم يعد في إمكانه أن يتابع.

الرسالة التي نود إيصالها إلى الأطفال: أن على الواحد منا أن يوطن نفسه للحلول المنقوصة والإنجازات المحدودة، والظروف المعاكسة، إن الإيمان بهذا المبدأ، يحسّن في موقف الطفل من الحياة، وفي موقف أهله منه.

8 -لا شيء يغني عن العمل: مهما تحدثنا عن هذا المبدأ العظيم جداً من مبادئ الحياة، وهو يعبر على نحو دقيق عن كيفية قطع المسافة الفاصلة بين ما هو موجود، وبين ما نسعى إلى تحقيقه.

ولعلنا نطرح سؤالاً: كيف نؤسس لأهمية العمل في عقلية الطفل؟ وكيف نجعل الإنجاز الملموس شيئاً قيماً لديه وفي أسلوب حياته؟

لعل مما يفيد في الإجابة على هذا السؤال الأفكار الآتية :

أ- العمل متعة، حيث إن الإنسان حين يقوم بعمل شيء، ولو كان بسيطاً، يشعر بأنه حقق إنجازاً، أو قدم خدمة لمسلم، أو قضى حاجة، وهذا كله يولد لديه نوعاً من الثقة بالنفس، كما يجعله يشعر أنه ليس عالة، وأنه يشارك أهله وزملاءه في حمل بعض تبعات العيش المشترك.

ب ـ العمل يخلصنا من ضغوط عدو مهم من أعداء السعادة والسرور، وهو الشعور بالفراغ، ويمكن أن نلفت نظر الطفل إلى العناء الذي يشعر به حين ينهي واجباته المدرسية، ويمل من اللعب.

ج ـ إن السبب الأساسي للنجاح في هذه الحياة، يكمن في الجهد الذي نبذله؛ والله بلطفه وكرمه لا يحرم أحداً من ثمرات جهده، حتى الكافر يجد ثمرة جهده في الدنيا.

ويمكن أن نذكر للطفل بعض الأمثلة لأشخاص ناجحين في دراستهم وأعمالهم نتيجة الاهتمام والجهد المتميز الذي يبذلونه، ونذكر له كيف أن هناك الكثير من

الأشخاص الذين لا يحققون أي نجاح بسبب ميلهم إلى الكسل وضعف إنتاجيتهم، شيء آخر يحتاج الطفل إلى أن نذكره به هو أن النجاح مرتبط بالعمل والحركة وتنظيم الوقت والتعلم الجيد أكثر من ارتباطه بالذكاء والتفوق الذهني.

ـ نحن مطالبون بأن ندرب أبناءنا على أداء الأعمال الشاقة، حيث يجب أن يعرفوا أن الحياة ليست سهلة، فهناك التزامات داخل الأسرة، إذ إن على الأبناء والبنات القيام ببعض الواجبات المنزلية، كما أن على الأبناء مساعدة آبائهم في بعض الأعمال عند الحاجة، لنحاول سؤال الطفل عن الأعمال والأنشطة التي يقوم بها يومياً، ولنحاول إرشاده إلى الانتظام في العمل وكيفية أوقاته على وجه حسن، وسيكون علينا إلى جانب هذا أن نشجعه ونحفزه باستمرار، وأن نكافئه حين يعمل أعمالاً جيدة.

إن التقاعس والكسل والإهمال، تشكل قواعد أساسية للفقر والإخفاق والتهميش، وينبغي التخلص منها بكل وسيلة.

9 - تغيير النفوس والسلوكيات هو أساس كل تغيير: هذا المبدأ قرآني، حيث يقول الباري{ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ } سورة الرعد فمهمتنا نحن المربين أن نغرس في عقول أبنائنا ونفوسهم قيمة تحمل المسؤولية تجاه غيرهم، إذ نستهدف جعل الطفل يشعر أن البداية في أمور كثيرة يجب أن تكون من عنده وهذه أمثلة على ذلك.

- كسب رضوان الله تعالى يتطلب الالتزام بأوامره والكف عن نواهيه .

ـ تقبيل يد الأبوين عند الاستيقاظ من النوم وطلب الرضا منهما .

-تحسين العلاقة بالأساتذة، تتطلب الاجتهاد في الدراسة وكتابة الواجبات المدرسية على نحو جيد.

- إطفاء الأنوار عند مغادرة الغرفة.

ـ عدم الكتابة على جدران المدرسة أو مقاعد الدراسة.

أشياء كثيرة في الحقيقة، يمكن لنا أن نتابع الطفل في شأنها مع الربط بينها وبين فكرة النهضة والتقدم والتغيير العام.

تذكر

1ـ كل شيء إذا همشناه خسرناه، العضلات والضمير والذاكرة والخيال، وإن زجها في خضم العمل يشكل إحياء لها.

2 -لكل شيء طاقة على التحمل، الصداقة والقرابة والرادع الداخلي، ولا ينبغي تحميل أي شيء فوق طاقته.

تطبيقات

1ـ اطلب من الطفل أن يتخيل أنه كبر، وأصبح مديراً لإحدى الثانويات الكبيرة، كيف يشجع الطلاب المتفوقين، وكيف يتعامل مع الطلاب المشاغبين؟

2ـ ناقش مع الطفل الفارق بين حاجاتنا الأساسية من الأكل والشرب، وبين ما يعد من قبيل الترف والرفاهية الزائدة.

القسم الثاني

١ - الطفل المفكر

2ـ أنواع التفكير

٣ -تكوين المفاهيم

الطفل المفكر

إن التفكير يشكل السلوك الإنساني الأشد تعقيداً، وهو عمل شاق جداً، ولهذا فإننا نتجنبه، ونبتعد عنه قدر الإمكان.

التفكير هو ذلك النشاط العقلي الذي يحدث حين يحل المرء مشكلة من المشكلات، أو هو تلك العملية العقلية المعرفية الوجدانية التي تستهدف الانتقال من المعلوم إلى المجهول.

إن الإنسان وهو يفكر يستخدم الإدراك والتخيل والتذكر والتجريد والتعميم والتمييز والمقارنة والاستدلال، ونتائج تشغيل هذه الورشة الذهنية متوقفة على ما تتمتع به هذه القدرات من نضج وقوة، وعلى طريقة استخدامها، كما أنها متوقفة على صحة المعطيات التي جعلنا منها مادة لاشتغال العقل عليها.

المشكل على صعيد التأسيس لعقلية الطفل المفكر أن الأسر وكذلك المدارس تشعر بأنها في عجلة من أمرها، وأنه ليس لديها الوقت الكافي لمساعدة الأطفال على التأمل والنظر في خلفيات الظواهر التي يعايشونها، كما أنها لا تشعر بالمسؤولية عن جعل

الصغار يفكرون بطريقة صحيحة، وهذا في الحقيقة امتداد للتربية القديمة التي تحبذ للصغار أن يكونوا سلبيين، وعلى درجة عالية من الخضوع العقلي.

إن أفضل ما يقدمه الكبار للصغار، هو مساعدتهم على إنارة عقولهم، ليس عن طريق القصص والحكايات والمعارف الصحيحة فحسب، وإنما عن طريق تدريبهم على التأمل وطرح الأسئلة، وتقديم المقترحات، وتعويدهم عدم القناعة بظواهر الأمور، وحملهم على الغوص فيما وراء هذا الظاهر الذي يبدو لهم، وحثهم على اكتشاف الأنماط العقلية التي تستند إليها المقولات المختلفة.

خصائص الطفل المفكر

نحن لا نريد من التفكير هنا ذلك اللون من تشغيل العقل من أجل تسيير الحياة اليومية الاعتيادية، وإنما نريد به ذلك النشاط العقلي الذي يمارسه النابهون والممتازون من أجل كسب المزيد من المعرفة ومواجهة المشكلات الصعبة، وإبداع وسائل جديدة لجعل الحياة أسهل وأكثر أمناً.

أهم تلك الخصائص: 1ـ الترحيب بالجديد

لا أحد ممن يعتد بهم يقول: إن كل جديد جيد، فالجديد لدى كل العقلاء قد يكون جيداً وقد يكون سيئاً، لكن بما أن الطفل المفكر، يحب التقدم، ويحب التغيير، ويكره الجمود، فإنه يرى في الجديد فرصة سانحة لتحقيق شيء من ذلك، ولهذا فإنه حين يطرح الأب أو المعلم فكرة جديدة، أو يتحدث عن أسلوب جديد، أو يذكر معلومات جديدة عن شيء مهم، فإن الطفل المفكر يبدي اهتماماً كبيراً به، ويحاول استيعابه والاستفادة منه، على حين أن الطفل غير المفكر أو الطفل العادي يخاف من الجديد أو يقف منه موقف المتشكك أو غير المبالي، وبالتالي فإن نموه الفكري، يكون بطيئاً.

2ـ التسامح مع الغموض

يحتاج أبناؤنا، إلى من يعلمهم التفاعل مع الأفكار الغامضة والمواقف الصعبة، فالطبيعة البشرية تميل إلى السهل الواضح، وتنفر من الصعب الغامض، وذلك رغبة في الاقتصاد في الجهد، لكن الصحيح أن عقولنا لا تكبر وأفكارنا لا ترتقي إلا من خلال مواجهة التحديات والمشكلات التي تتطلب منها نشاطاً غير عادي، وإن للمعلمين الدور الأكبر في هذه المسألة، حيث إنهم يستطيعون تدريب الطلاب على تصور بعض النماذج الغامضة واكتشاف خصائصها، ومن ثم قولبتها وتنظيمها، وعلى سبيل المثال فإنه يمكن للمعلم أن يشرح للطلاب خصائص الإنسان العاطفي(كيف يفكر، كيف يتصرف كيف يتعامل مع الأحداث المؤلمة، كيف تكون علاقته بأصدقائه، إلى أي مدى يمكن أن يكون موضع ثقة ممن حوله، ما نوعية المشكلات التي يواجهها نتيجة سيطرة عاطفته عليه؟ بعد هذا يطلب من الطلاب أن يحاولوا بلورة نموذج لأشخاص آخرين، مثل: الشخص الشحيح، والشخص الجبان، والشخص المتهور، والشخص الشديد المثالية، والشخص القلق، ثم يقوم المعلم بمناقشة هذه النماذج وخصائصها مع طلابه.

٣ -التروي والأناة: من أعدى أعداء التفكير المثمر العجلة والرغبة في الوصول إلى نتائج سريعة، صفة الأناة هذه، قد لا تكون موجودة لدى كثير من الصغار، فطبيعة المرحلة العمرية لدى الأطفال تجعلهم يملون بسرعة من الانشغال بشيء واحد، وتدفعهم نحو الانتقال من موضوع إلى آخر، وهنا يبرز دور المعلم المدرب، حيث إنه من خلال سلوكه المتأني في التعامل مع طلابه، ينمي لديهم هذه الفضيلة، إنه يفكر أمام طلابه بصوت مسموع، ويُظهر طول النفس في تقبل النقد، والاستماع إلى الملاحظات الغريبة، ويصبر على ما يبدو أنه نقاش عقيم.

٤ - الميل إلى الاستقلال، الطفل المفكر، والطفل الذي يجري إعداده كي يصبح مفكراً جيداً يميل إلى أن يكوّن رأيه المستقل وتوجهاته الخاصة.

ميول الطفل إلى إصدار الأحكام المستقلة وتكوين الرؤى الخاصة كثيراً ما تشكل مصدر إزعاج لأهله ومعلميه، حيث يظهر الطفل بمظهر العنيد المتكبر والمستخف بما لدى الآخرين والمعجب بما لديه، لكن من الواضح أن الاستقلال في فهم الأشياء وتقويمها، يرتبط بعدد من الإيجابية المرغوبة من نحو المبادرة وعدم الخوف من الوقوع في الخطأ والثقة بالنفس، ونستطيع القول في هذا السياق: إن الأسرة تستطيع أن تدعم ميول الطفل إلى الاستقلال من خلال السماح له بالاعتراض على الأمور التي لا تعجبه ومن خلال إجابته على أسئلتها وتشجيعه على مناقشة الأفكار التي يسمعها، وحين يقدم الطفل بعض الآراء الفجة والمرفوضة، فإنها لا توبخه وإنما تشرح له بلطف وجه الصواب فيما يقول.

٥ -حب اللعب والمرح: إن الطفل الذي يحب المرح، ويميل إلى اللعب مع الأصدقاء والزملاء، يكون في وضعية نفسية أفضل من الطفل الهادئ أو المنعزل أو الذي يُظهر قدراً زائداً من الجدية، لا شك في أن الضحك، يخفف من التوتر العصبي لدى الإنسان، ويفرّج بعض الكروب والهموم، كما أن المرح، يوجد لدى صاحبه نوعاً من التفتح الذهني وفي المدارس ينظر بعض المدرسين إلى الطفل كثير الحركة أو الميال إلى المزاح على أنه يفتقر إلى الجدية، وربما إلى إدراك حرمة المدرسة والمعلم وآداب طالب العلم، وهذا خطأ فاللعب والمرح والتسلي أمور إيجابية وذات فوائد كبرى لعقل الطفل وروحه إذا ظلت في حدود الاعتدال.

تذكر

١ - كلما حدث تقدم أكثر، تراجع دور الجهد العضلي في تحقيق الثراء والازدهار، وصار التأثير الأكبر للمعرفة والإبداع والتفكير الجيد .

2 -إن ابن الحادية عشرة، يستطيع أن يفكر في مسائل معقدة إذا تلقى التدريب الكافي.

3ـ ليس كل جديد جيداً، فالجديد قد يكون جيداً، وقد يكون سيئاً.

تدريبات وتطبيقات

1ـ اطلب من الطفل أن يذكر أربعاً من النتائج السيئة التي تترتب على العجلة في اتخاذ القرارات.

2ـ على المعلم أن يشجع الطلاب على الحل الجماعي للواجبات المدرسية، وعلى إنجاز المشروعات المشتركة.

أنواع التفكير

هنا سنعرض بشكل موجز لبعض أنواع التفكير المهمة مع عرض كيفية مساعدة الطفل على ممارستها، وذلك في المفردات الآتية:

1 -التفكير الإبداعي: إن التفكير الإبداعي عبارة عن نشاط ذهني منظم، يؤدي إلى نتائج وحلول تتصف بالجدة والأصالة .

المطلوب من الجيل الجديد أن يملك مهارات الاتصال والتقويم والتفكير الحاسم واستراتيجيات حل المشكلات ومهارات التنظيم والرجوع إلى المصادر واتخاذ القرارات في حالة وجود معلومات غير كافية، بالإضافة إلى القدرة على التعلم الذاتي، ومن أهم ما

نقوم به من أجل كل هذا هو توفير بيئة تساعد الناشئة على الإبداع والتجريب والكشف ورؤية الأشياء بطرق متعددة.

إن تدريب الأطفال والشباب على التفكير الإبداعي، يعد بحق مهمة وطنية كبرى تحتاج إلى استنفار كل الجهود وحشد كل الطاقات .

والحقيقة أن كل الأعمال التربوية الجليلة، تتكون في رحاب الأسرة وتنمو برعايتها، ونلاحظ في هذا السياق أن الطفل حتى يبدع يحتاج إلى الشعور بشيئين أساسيين هما الأمان والحرية، وهما يتوفران من خلال تعامل الأسرة مع أبنائها على أنهم كيانات فاعلة ومستقلة، مع تجنب إصدار الأحكام القاسية عليهم، كوصمهم بالغباء.

ويجب ألا يعتقد الآباء والمعلمون أن الحديث عن الإبداع، هو حديث عن شيء ترفيهي أو كمالي أو شيء خيالي يصعب الوصول إليه، إن الأمة في حاجة ماسة إلى الإبداع والمبدعين لأنها تعاني من تخلف شديد في معظم مجالات الحياة، والمبدعون هم الذين يعالجون مشكلاتها - على المستوى النظري على الأقل - ويفتحون أمامها طرقاً جديدة للازدهار .

العالم كله في الحقيقة محتاج إلى الإبداع، وذلك من أجل أمرين أساسيين الأول: هو تأمين درجة من الحياة الطيبة لهذا البحر المتلاطم من البشر، والثاني: هو إنعاش القيم العظيمة التي لا تستقيم الحياة من غيرها، والتي تساعد على إدارة العنف في زمان تشتد فيه المنافسة والأثرة إلى مستويات غير مسبوقة.

وأود أن أشير إلى ما يمكن أن نفعله من أجل تأسيس العقلية المبدعة، وذلك من خلال المفردات لمفردات الآتية: أ- الطلاقة مكون أساسي من مكونات التفكير الإبداعي، وهي تعني القدرة الجيدة على التوليد، توليد الأفكار وتوليد الكلمات والجمل

والتعبيرات، فإنه يمكن للأسرة في أوقات الفراغ أن تنخرط في بعض الألعاب التي تكشف عن الطلاقة لدى أفرادها، وتعمل على تحسين مستواها، حيث يمكن للأم أو الجدة، أن تحكي للصغار حكاية صغيرة، وتطلب منهم وضع عنوان لها كما يمكن من أجل تعزيز الطلاقة (الترابطية أن يطلق الأب كلمة جديدة - من الصغار أن يذكروا له الكلمات التي تدل على نفس معناها، وإذا كانت هناك بعض الفروق فإنه يشرحها، كما أنه يصحح لهم الأخطاء التي يقعون فيها .

ب ـ المرونة مكوّن مهم من مكونات التفكير الإبداعي، وإن في إمكاننا أن نشرح فكرة المرونة للأطفال من خلال المثال الآتي: لدينا حجر بحجم قبضة اليد، نستطيع أن نستخدمه في بناء جدار، كما نستطيع أن نستخدمه في زجر كلب يهجم علينا، كما يمكن أن نستخدمه كما نستخدم المطرقة، فندق به مسماراً في جدار، ويمكن أن نضعه فوق مجموعة من الأوراق حتى لا تتطاير وهكذا، نذكر هذا للطفل، ثم نطلب منه أن يضيف استخدامات أخرى للحجر زيادة على ما ذكرناه.

ج ـ رهافة الإحساس نحو المشكلات، مما يميز المبدعين عن غيرهم. الأشخاص غير المبدعين لا يرون الكثير من المشكلات القائمة، إنهم تارة يتكيفون معها، فتصبح المعاناة شيئاً عادياً في حياتهم، وتارة يرضون بأنصاف الحلول، وبما يؤمن الضروريات، أما المبدعون، فإنهم يعرفون الأصول التي يجب أن تكون عليها الأشياء، وبالتالي فإنهم يرون المفارقات بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، وهم يستخدمون المقارنة على نطاق واسع من أجل التمييز بين الأوضاع الجيدة والرديئة، فحين نجد إنساناً، يتحدث بكثرة عن الطرائف والعجائب التي وقعت له أو شاهدها، والتي لا تقع في العادة لغيره، فإن المبدع ينظر إلى هذا الشخص على أنه يتجاوز الحقيقة أو يبالغ. المبدعون ينتجون الأفكار الأصيلة، لكن الأصالة لا تقتصر على الجدة وإنما تعني أيضاً النفع والفائدة، بل

إن القيمة الحقيقية لكل المعارف، إنما تنبع من اتصالها بحياة الناس، وقدرتها على تحقيق الخير لهم، ودفع الشر عنهم، وأمة الإسلام في أمس الحاجة إلى الأفكار العظيمة التي تساعدها على الازدهار وتخفف من لأواء المشكلات العويصة التي تعاني منها.

لدينا حزمة كبيرة من المشكلات التي يمكن أن نطرحها على نطاق واسع من خلال المدارس ووسائل الإعلام، ثم نقوم بتكليف الطلاب بكتابة بحوث قصيرة فيها، أو تقديم حلول ومقترحات لمعالجتها، ومن تلك المشكلات الإسراف في استخدام المياه والطاقة، وإعراض الناس عن القراءة، وإعراضهم عن الانخراط في المؤسسات والأعمال الطوعية وإفراط النساء في الزينة واقتناء الحلي والولع بالشكليات.

ـ المبدعون قليلون في المجتمع، فإذا كان في حيك أو بين أقربائك من يُعرف بالعبقرية أو الإبداع واستطعت أن يلتقي أبناؤك به، أو يستمعوا إليه، فخذهم معك، واجمعهم به، فالمبدعون يتركون في جلسائهم آثاراً إيجابية كبيرة، ويحفزونهم بطريقة لا شعورية على الجد والاجتهاد وتعشق الجديد.

ـ علم الطفل التفكير الموسع، وذلك كأن تحثه على أن يتصور أن كل شيء ممكن الحدوث الغنى والفقر، والنجاح والرسوب، والصحة والمرض، وانتقال الجيران وإغلاق الحانوت الذي في الحي، ثم شجعه على أن يتصور الآثار التي يمكن أن تترتب على تلك الافتراضات.

نحن نريد أن ننشّط الخيال لدى الأطفال، ثم نقوم بمساعدتهم على مناقشة افتراضاتهم وإثرائها وتقويمها؛ وذلك لأن الإبداع كثيراً ما يكون عبارة عن إدراك للطرق المفتوحة والطرق المغلقة.

ـ درب الطفل على إطلاق التشبيهات الجيدة؛ لأن ذلك يعزز لديه فهم العلاقات بين الأشياء، والحقيقة أن التربية القديمة لم تكن تهتم بهذه المسألة على النحو المطلوب، مع أن بعض العلماء يعرف الذكاء بأنه القدرة على الربط بين الأشياء. أطلق بعض التشبيهات البليغة والجميلة أمام الطفل، وقم بشرحها، ثم اطلب منه أن يُكمل تشبيهاً بدأت به، قال أحدهم: إن الدماغ مثل البنك تأخذ منه بقدر ما تضع فيه، وقال آخر: الوقت كالمال إذا أدرته بحكمة، وأنفقت منه بحرص، فإنك ستجد منه ما تسمر وتلهو فيه .

لنقل للطفل أكمل الآتي: «النزول إلى النهر للسباحة مثل...»، «إن المعدة مثل ...» و«المسلم الثابت على تدينه في الشدائد مثل .« ...

2ـ التفكير الإيجابي الإنسان الإيجابي لا يعتمد على معلومات ومعطيات جديدة في تفكيره، ولا يحاول اكتشاف أمور لم يكن يراها من قبل، وإنما يقوم بإدارة عواطفه والعمل على استخدام اللغة على نحو مشجع ومحفز، كما أنه يحاول أن يرى الوجه المشرق للأشياء حتى يحصن نفسه من اليأس والإحباط .

وهذه بعض الأفكار والأساليب في بناء الإيجابية:

أ- حين يبلغ الطفل الخامسة، فإن وعيه يبدأ بالتفتح على الميزات التي لديه، كما أنه يعقل معنى اللوم والتوبيخ على الأخطاء التي يقع فيها حين يفعل ما نهاه عنه أبوه، أو حين يسيء إلى أخيه الصغير، ويعقل معنى ثناء أمه عليه حين يذهب إلى فراشه في الوقت المطلوب، وحين يلعب دون أن تتسخ ثيابه.

حتى نساعد الطفل على تكوين تفكير إيجابي نحتاج إلى أن نذكره بنجاحاته ووقائع تفوقه والميزات التي تظهر في سلوكه بين الفينة والفينة، مثل الصدق والمثابرة والجدية والتعاطف مع الآخرين والاهتمام بإخوته الصغار.

ب ـ من المهم أن ننتبه إلى نوعية الكلمات التي نستخدمها في التعبير عن مرغوباتنا وحاجاتنا وآلامنا، ومن المهم أن نعلم الأطفال أن يستخدموا التعبيرات التي تدل على القوة والسعادة وحرية الإرادة والاستقلال، وحين نجد أن الصغير يستخدم كلمات، تجنح في دلالتها نحو الضعف أو البؤس أو اليأس، فإن علينا أن نعلمه بدائل عنها ذات ظلال إيجابية وتفاؤلية علم الطفل إذا قلت له: كيف حالك أن يقول: الحمد لله في أفضل حال، أو يقول: أنا في نعمة كبرى أو يقول كل شيء على ما يرام، إن هذه التعبيرات، فيها ثناء على الله تعالى وفيها ما يدل على الشعور بالرضا والاطمئنان.

لنعلم الطفل أنه إذا كان مريضاً، أو يعاني من صداع أو ألم أن يعبر ذلك بتعبير لطيف، فقوله: إن رأسي يكاد ينفجر أو إني أشعر أن أمعائي تتقطع، إن هذه التعبيرات تُضعف الروح المعنوية لدى الطفل، وتثير لديه مشاعر التذمر واليأس، وسيكون الوضع مختلفاً. حين يقول: لدي صداع، أو لدي مغص.

وحتى نبني العقلية الإيجابية لدى الطفل، فإن علينا أن نحفزه باستمرار على استخدام التعبيرات التي تدل على وجود الفرص والإمكانات، وأن نحثه على تجنب التعبيرات التي تدل على الصعوبات والعقبات، أو تشير إلى عجزه الشخصي، من التعبيرات الإيجابية: (يمكن أن أعمل كذا اترك لي الفرصة كي أجرب القيام بكذا)، عودوا الأطفال شكر النعم والثناء على المنعم، وعودوهم الاحتفاء بما يملكون، وعودوهم النظرة الإيجابية للمصائب والمحن.

كم هو جميل أن نقول للطفل: اذكر لنا عشرة أشياء تدخل على نفسك السرور، وعدّد لنا عشراً من البلايا التي أصيب بها بعض الناس، وقد عوفيت أسرتنا منها .

ج ـ تدريب الأطفال على تلمس المستقبل من أجل تجاوز محن الحاضر؛ لأننا لا نريد للأحوال السيئة أن تؤثر في معنويات الصغار، وعلى سبيل المثال، فقد يرسب أحدهم في الصف الرابع الابتدائي، ويأتي من يقول لأبيه : هذا الولد لا يحب المدرسة ولا الدراسة، حاول أن توجهه لتعلم مهنة من المهن أو يقول: أخرجه من المدرسة حتى يساعدك في تجارتك، إن مثل هذه النصائح مدمرة لنفسية الطفل، على حين أن المطلوب، هو مساعدة الطفل على تجاوز محنته، لنقل له: شعورك بالأسى على الرسوب هو شعور مؤقت، وغداً سوف تكون أحسن، أو نقول له: الآن حصل الرسوب؛ وهذا شيء سيئ ولكن من المؤكد أنك ستبدأ بالاستعداد للامتحانات القادمة.

د ـ ساعد الصغير على أن يطلق العنان لأحلامه وهو في سن السادسة قل له: ماذا تحب أن تكون في المستقبل، أكد على هذا التساؤل مدة فإذا كبر قليلاً، قل له: أتحب أن تكون داعية ناجحاً مثل فلان، أو طبيباً ممتازاً مثل فلان، أو مدرساً بارعاً مثل فلان، أم ماذا تحب؟! يجب أن نشرح للأبناء أنه لا يشترط للمرء حتى يكون متميزاً أن يكون متفوقاً في كل سنوات دراسته، أو في جميع المواد، بل يكفي أن يركز جهوده في شيء يحبه، ويميل إليه، ويشعر بامتلاك القدرة على الإبداع فيه .

التفكير الواقعي: هو التفكير الذي يستند إلى الواقع الماثل أمامنا حقيقة، أو هو تفكير من يرى العالم على ما هو عليه فعلاً دون تجميل أو تحيّز.

وهذه بعض الإشارات في شأن التفكير الواقعي :

أ ـ اطلاع الأطفال على الواقع الماثل، يعني بوجه من الوجوه اطلاعهم على الحقيقة، ولهذا فإن التفكير الواقعي يعني التعامل مع الحقائق الثابتة، وإن الحقيقة في الرؤية الإسلامية، تستحق دائماً الاعتراف وتستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ لأنها تؤثر في حياتنا مهما حاولنا تجاوزها أو غض الطرف عنها؛ ولهذا فإن بناء التفكير الواقعي لدى الأطفال هو جزء من احترامنا للحقيقة وجزء من أسلوب تعاملنا معها؛ وهذا أصل معتمد، حيث إن إحقاق الحق وتعليمه الناس جزء من رسالة المسلم في هذه الحياة.

ب ـ يبدو أن الطاقة البشرية على خداع النفس لا حدود لها، ولهذا فإن كثيراً من الصغار والكبار، يقومون بأعمال كثيرة، لا ينبغي لهم أن يقوموا بها، فهناك أعداد هائلة من الأطفال وفي كل مكان، لا يخبرون أهليهم أنهم رسبوا في مدارسهم، وهم يفعلون ذلك هروباً من الواقع وخوفاً من التأنيب والتوبيخ الذي يتوقعونه إذا قالوا الحقيقة، وتصرفوا على أساسها.

ويجب ألا ننسى في هذا السياق ما يقوم به بعض الأهل من تخويف الصغار بالجان والعفاريت والأشباح، ويبالغ بعضهم في ذلك مبالغة كبيرة إلى حد دفع الأطفال في طريق التفكير الخرافي !

ج ـ نحن نعرف أن الحقيقة تكون أحياناً مرة وصعبة الاستيعاب وذات أثر كبير في الشعور بالخوف من المستقبل، وكيف يمكن لأم أن تشرح لصغارها أن آباءهم غارق في الديون، وهو على وشك دخول السجن، أو يشرح أب لأبنائه أن أمهم مصابة بمرض عضال، وأن عليهم أن يكسبوا رضاها، ويقوموا على خدمتها لأن أيامها باتت معدودة ؟! لا شك أن الوضع صعب للغاية، لكن مع كل هذا يبقى خيار الصدق والأمانة والمكاشفة، وتقرير الواقع هو الخيار الأفضل، إننا حين نقوم بشرح المواقف الأليمة

لأطفالنا مع تفصيل الحقائق من وجهة نظرنا، فإننا نجعلهم يدركون أن لدينا القوة العاطفية التي تمكننا من التعامل مع أشد الحقائق قسوة، والتغلب عليها، كما أن إقدامنا على يشجع الصغار على أن يسلكوا المسلك نفسه في الإفصاح عن مشكلاتهم .

د ـ نحن نحتاج إلى تأسيس موازنة بين التفكير الإيجابي المتفائل والقائم على رؤية أفضل ما في الأشياء، وبين التفكير الواقعي القائم على رؤية الأوضاع على ما هي عليه من خير وشر وحسن وقبح، فكيف نتمكن من ذلك؟

مثلاً هذا أب يقول لابنه: نحن مضطرون يا بني إلى أن ننتقل إلى مدينة كذا بسبب انتقال عملي، وأنا أعرف أن هذا سيسبب لك الكثير من الإزعاج والألم لأنك ستفارق مدرستك، وستفارق قبل ذلك المكان الذي ولدت ونشأت فيه، وقد كنت يا بني أحاول ألا أنتقل مراعاة لك، لكن لم أتمكن فأنا إذا لم أوافق على النقل فقدت عملي، وأنت تعرف ماذا يعني هذا، لكن كن على ثقة يا بني أنك خلال مدة وجيزة ستألف المكان الجديد، وستكسب أصدقاء جدداً، وستجد مدرسة جميلة كمدرستك، وأتصور أنك بعد سنة من الآن سترفض مغادرة المدينة الجديدة لأنك ستتعلق بها وتحبها، ولو تأملت حولك فستجد أن كثيراً ممن نعرف انتقلوا إلى مكان غير المكان الذي نشأوا فيه، وهم يعيشون الآن سعداء، ونحن في هذه الدنيا لا نستطيع أن نحصل على كل شيء، فيجب أن نقنع بما قدر علينا، ونطلب من الله تعالى المعونة، وما هو قادم أفضل مما مضى. إن الطفل حين نخاطبه بهذا الأسلوب، يشعر أننا نحترمه، ونشركه معنا في تحمل المسؤولية، كما أننا نتعاطف معه ونتفهم المعاناة التي سيجدها حين ننتقل من بلدنا إلى بلد آخر.

5ـ التواصل معهم والبحث عن الأوقات الملائمة للتحدث إليهم أكثر وأكثر؛ إننا حين نطيل الجلوس معهم، وقد أغلقنا التلفاز، وأبعدنا كل الشواغل الجانبية، فإننا سنحدثهم عن الكثير من الأشياء، وسنتيح لهم الفرصة أيضاً ليتحدثوا عن الكثير،

ويسألوا عن الأمور التي تثير إشكالات لديهم، بعض الأمهات ذوات الحنكة التربوية، يتبعن أسلوباً مؤثراً وفعالاً في فهم الطفل للواقع ولطبيعة الحياة، وهو أسلوب القص وسرد الحكايات، إنهن يتخذن من القصص والحكايات الواقعية والمتخيلة أداة لشرح الواقع، وأنه ينطوي على الأفراح والمسرات، كما ينطوي على الأحزان، وينطوي على الفضائل والمواقف النبيلة كما ينطوي على الرذائل والمواقف السيئة والدنيئة، وهن يتخذن إلى جانب هذا من الحكي وسيلة للتوجيه، فهذه قصة تحكي العاقبة السيئة لطفل أهمل في دراسته فرسب، وطرد من المدرسة، وحين كبر صار يعمل بأجر قليل وأعمال مجهدة، وهذه حكاية فتى يحافظ على وقته بدقة، مما جعله يتفوق على أقرانه، ويحصل على أعلى شهادة يحملها فرد من عائلته الكبيرة وهكذا.

التفكير الناقد: النقد عمل عظيم، لأنه يبصرنا بالموقف الصحيح الذي يجب أن نتخذه من الأوضاع والعقائد والعادات السائدة في بيئاتنا ومجتمعاتنا، إن مما لا جدال فيه أنه ليس هناك مذهب أو تيار أو مجتمع ذهب بكل الصواب والفضل والخير، كما أنه ليس هناك مذهب جمع كل الأخطاء والشرور.

بعض الملاحظات السريعة في التفكير النقدي:

1. يجب أن نتوقع دائماً نقداً يشوبه شيء من النقص والخلل، وفي كل الأحوال، فإن الناقد، يعبر عن وجهة نظر شخصية، قد يوافقه غيره عليها وقد لا يوافقه، حيث ينبغي أن نلقن الأطفال أنه ليس على الواحد منهم أن يتقبل كل نقد يوجه إليه، إذ قد يكون صحيحاً، وقد لا يكون، كما أن النقد الذي يوجهه معلمه أو والده لأي فكرة أو وضعية، قد يكون في محله، وقد لا يكون، وبناء عليه فإن ما يبديه الأبناء والطلاب من ملحوظات على أسرهم ومدارسهم وعلى الأفكار والسلوكيات السائدة في المجتمع، له الحكم نفسه، وعليهم أن يتعلموا الإصغاء لوجهات النظر المخالفة. ومن الملاحظ أن

لدى الطفل ميلاً شديداً نحو التمركز حول الذات، ويستمر معه ذلك إلى مرحلة ما من مراحل نموه، ولهذا فإنه قلما يراعي وجهات نظر الآخرين، والصواب لديه، هو ما يراه هو نفسه، وحين يدخل في مرحلة المراهقة كثيراً ما تتولد لديه نزعة متطرفة نحو الاعتداد بالرأي ونحو تسفيه آراء ولذا فإن على الكبار أخذ ذلك بعين الاعتبار، والنظر إلى هذه الحالة على أنها حالة مؤقتة تتراجع في وضع متزامن مع الرشد والنضج.

2ـ لا بد للأسرة من أن تمتلك الإيمان بقدرة الأطفال على تعلم هذا النوع من التفكير، وإصدار الحكم الصائب، كثير من الناس في القديم والحديث، ينظرون إلى النقد الذي يمارسه الأطفال للحياة الاجتماعية على أنه نوع من الوقاحة أو التجاوز لحدود الأدب، أو نوع من الغرور والاعتداد المبالغ فيه بالذات، إننا بتعليمنا الأطفال أصول النقد وآدابه، نكون قد قدمنا لهم الحماية من التقليد الأعمى، ومن مخاطر الاستسلام للأوضاع السيئة، كما نكون قد هيأناهم ليقوموا بدور إصلاحي نافع في المستقبل .

3ـ إذا أردنا أن ندعم الملكة النقدية لدى الطفل، فإن علينا أن نحرضه على طرح الأسئلة حول ما يرى ويسمع ويشعر.

لحماية فطرة أطفالنا في التساؤل والتطلع:

الأول: هو تلقي تساؤلات الطفل بصدر رحب وبصبر وحكمة.

الثاني: تدريب الأبناء والطلاب على صياغة الأسئلة وعلى توجيهها وتوقيت إلقائها.

يقول أحد الحكماء: قد منحني الله تعالى ستة رجال أقوياء أمناء، يخدمونني، ويعلمونني كل شيء، وهم أصل كل ما أعرف: (ماذا، لماذا، كيف، متى، أين، من) إن

رجاله الذين يتعلم منهم هم هذه الأدوات الاستفهامية التي تساعده على إيجاد مداخل لفهم القضايا والمشكلات والتعامل معها.

التفكير الموضوعي

وإليك شرحاً موجزاً لهذا النوع من التفكير عبر المفردات الآتية :

أ- حين نريد إصدار حكم على شيء، فإن علينا أن نجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتعلقة به.

ب ـ التفكير الموضوعي كما يعتمد على البعد عن الظنون والأوهام والتقديرات المتعجلة، يعتمد كذلك على البعد عن الأهواء والميول الشخصية والمصالح الخاصة، والحقيقة أن البعد عن الظنون قد يكون أسهل من البعد عن الأهواء، حتى إن كثيراً من الباحثين، يرون أن التجرد من الأهواء والخصوصيات الثقافية في إصدار الأحكام وتحديد المواقف غير ممكن في معظم الأحيان.

يتجلى اتباع الأهواء لدى الأطفال في كثير من المواقف، هذا طفل حدث نزاع بينه وبين ابن الجيران فجاء إلى أهله، يشكوه ويجعل من نفسه الشخص المعتدى عليه، مع أنه قد يكون هو المعتدي.

إن علينا أن نصغي لما يقوله الطفل باهتمام، وبعد ذلك نبدأ بمناقشته وبيان التجاوزات التي ظهرت في كلامه.

إن من الطبيعي أن يكون إدراكنا للظواهر والأحداث والتصرفات مختلفاً ومتبايناً، أعني أن الموضوعية التي يدعيها كل واحد منا لن تكون أبداً كاملة، بل ستكون نسبية ومنقوصة، فمثلاً نظرة الغرب لحجاب المرأة وتعدد الزوجات وشرب

الخمر ستكون مختلفة لنظرتنا، وفي المقابل فإن نظرتنا إلى واقع الحياة في الغرب ولاسيما الأوضاع الأسرية والاجتماعية مختلفاً.

الخلاصة:

أن الأطفال يحتاجون إلى أن نرسخ في أذهانهم أننا مع إدراكنا لصعوبة الموضوعية وصعوبة الحياد المطلق في كثير من الأمور إلا أننا نحاول دائماً أن تكون أدلتنا وبراهيننا صحيحة وقوية، كما نحاول أن تكون مقدماتنا صحيحة.

1 - الأطفال في حاجة إلى تدريبهم على التفكير الإبداعي لأنهم سيواجهون مشكلات أكثر تعقيداً من المشكلات التي نواجهها اليوم.

٢ -لا يبدع الطفل إلا إذا عاش في بيئة تؤمن له أمرين أساسيين، هما الأمان والحرية.

تطبيقات

1ـ اضرب أمثلة للطفل توضح له من خلالها الفرق بين الإيجابية والتفاؤل الخادع، وأمثلة توضح الفرق بين الشجاعة والتهور.

2 ـ يقوم رب الأسرة بين الفينة والفينة بتذكير أسرته بالنعم التي أنعم الله بها عليها، ويجتهدون جميعاً بتعدادها.

3ـ حين نعرض على الطفل حلا لمشكلة ما، ثم يرفضه، فإن علينا أن نطلب منه اقتراح البديل، ثم نناقشه في نجاعة ذلك البديل.

تكوين المفاهيم

إن قصور المفاهيم يشكل عاملاً مشتركاً بين كل المشكلات والأزمات التي تعاني منها الأمة، كما أنه يشكل معلماً بارزاً في كل مظاهر التخلف؛ لأننا إذا اختلفنا في التعريفات والمصطلحات والمواصفات والمعايير، فهذا يعني أننا لسنا متفقين على أي شيء، إن الطابع الأساسي لكل منجزاتنا، سوف يكون الفوضى والارتجال، وبالتالي التصادم والتنازع، ثم الاقتتال.

صناعة المفاهيم هي عمل فلسفي أصيل، وهي تتطلب الكثير من الصبر والإتقان والدقة، كما تتطلب قدراً عالياً من التفتح الذهني ورحابة الأفق.

قد يكون النقاش المفتوح مع الصغار وإلقاء الأسئلة عليهم وتلقيها منهم هو أفضل وسيلة لإنضاج المفاهيم الأساسية وترسيخها في عقولهم الكبار يلقون على الصغار أسئلة بيانية، تستهدف إثارة أذهانهم وتدريبهم على التفاعل ومساعدتهم على الفهم.

سأقدم هنا شرحاً لثلاثة مفاهيم، أعتقد أن توضيحها للأطفال بطريقة جيدة، يشكل تدريباً لهم على تكوين المفاهيم من غير معلم أو مرب، كما أن هذه المفاهيم تُثري عقلية الطفل، وتحسن مستوى رؤيته للعديد من القيم والقضايا الكبرى.

أولاً: الحوار المثمر

كلمة حوار من الكلمات المطروقة بكثرة في هذه الأيام، ومن اللباقة والكياسة أن نتقبل نقاش من يريد مناقشتنا في بعض ما نراه ونذهب إليه ومن الكياسة والديانة أيضاً أن نناقش من يخالفنا عوضاً عن اغتيابه أو هجره، ومقاطعته، والمفهوم الذي أود الحديث عنه هو الحوار المثمر فقط، وليس أي حوار .

لابد أن نثري خبرات الطفل بالمفاهيم الآتية:

ـ لا يهدف الحوار المثمر إلى إشعال الخصومة بين المتحاورين ولا ينبغي لهم أن يستخدموه أداة لإظهار التفوق على الخصوم أو وسيلة لإظهار الامتياز الشخصي وإنما يهدف إلى إضاءة النقاط المظلمة، حيث يحاول كل محاور أن يُري محاوره، ما لا يستطيع رؤيته بنفسه.

فاحرص على الشرح المفصل لوجهة نظرك، ودعم كل ما تقوله بالبراهين، وحاول أن تستفيد من فرصتك في الكلام على أحسن وجه.

من المهم أن نعلم الطفل وأن ندربه على أن يعبر عن آرائه بأدب ولطف، ويجب أن نقنعه بأن الغلبة في الحوار، ليست شيئاً نسعى إليه، وهي على كل حال لا تتم من خلال رفع الصوت والاقتطاع من حصة المحاور من الوقت ولا بالسيطرة على المجلس، كما أن المرء يستطيع شرح أفكاره وإقناع محاوره من غير أن يستخدم الكلمات الجارحة والألفاظ القاسية، إنه لا يصح بأي حال أن يتحول الخلاف في الأفكار إلى خلاف شخصي بين المتحاورين؛ لأن ذلك سيعني الخروج عن الموضوعية وعن حدود التهذيب واللباقة.

النقطة الأخيرة في حديثنا عن مفهوم الحوار المثمر تتعلق بإنهاء الحوار، حيث إن المرء حين يحاور غيره، يكون متطلعاً إلى الوصول إلى شيء نافع، فإذا وصل المتحاوران إلى طريق مسدود، فإن عليهما إنهاء الحوار، أو الانتقال إلى موضوع جديد، وفي هذه الحال، فإن الحكمة تكون في التوقف عن اجترار الأفكار والمقولات؛ لأن ذلك يوفر الجهد والوقت، ويساعد على إبقاء النفوس أقرب إلى الهدوء والوئام .

لكنني أرى أن علينا في آخر كل حوار أن نحرص على أمرين: الأول: خفض التوتر، والتعبير عن التقدير لمن نحاوره.

الثاني: تلخيص ما تمخض عنه الحوار، حيث سنجد أن هناك أموراً تم الاتفاق عليها، كما سنجد أموراً أخرى ما زالت موضع نزاع، وهذا طبيعي، إذ ليس المطلوب من الحوار الاتفاق على كل شيء، وإن توضيح كل ذلك يحسّن درجة وعي المتحاورين بالموضوع الذي كان محلاً للنقاش.

المفهوم الثاني الذي حاول أن يؤسس له أيضاً المؤلف حفظه الله

2.الحكم على الأشياء

لابد أن نشجع الأطفال على أن يكون لهم حكمهم الخاص على ما يرونه،

علينا أن ندربهم على ذلك، إذ إن موقف الصغير من الأحداث والأشياء ينعكس على عقليته، فإذا كان خاطئاً، فإنه يسهم في تشويه تلك العقلية، وإذا كان من حق الطفل أن يصدراً أحكامه على ما يدور في محيطه، فإن من المهم أن يعرف أن للحكم على الناس والأحداث أصولاً وقواعد وأدبيات لابد من الالتزام بها، وإلا فإنه يؤذي نفسه وغيره، وإليك بعض الملاحظات التي تتصل بهذا المفهوم :

1ـ التريث في إصدار الأحكام خلق عظيم وعادة حميدة؛ لأن الإنسان مسؤول أمام الله تعالى عن كلامه.

ونعلم أن الأطفال لا يعقلون هذا المعنى على الوجه الذي نريد، فعلينا تدريبهم على إمساك اللسان والتروي قبل إصدار الأحكام، ولابد أن نكون نحن أنفسنا ممن يتثبت ويتريث في إصدار الأحكام، فمثلاً هذا طفل يقول: إن معلمي لا يحبني، وحين يُسأل عن سبب ذلك، فإنه يقول: لأنني في إحدى المرات تكلمت من غير إذنه. وطفل ثان يقول: ابن جيراننا يتجسس علي، وحين قيل له، كيف عرفت ذلك؟ قال: رأيته واقفاً أمام باب دارنا، وإذا فتشنا في الحالتين وجدنا أن التعليل غير صحيح، وبالتالي فإن حكم الصغير

أيضاً غير صحيح، ويكون علينا ـ كما يفعل كثير من الآباء ـ آنذاك أن نوضح للطفل أنه أخطأ في تفسير موقف معلمه وابن جيرانه.

ـ كثيراً ما يعتقد الطفل أن الكبار دائماً على حق، ولا سيما أباه وأعمامه وأخواله وأساتذته، إنهم قدوات في نظره، فإن من مسؤوليتنا نحن الكبار أن نوضح للصغار أن أحكامنا التي نصدرها على الأشياء والأحداث، لا تكون دائماً صحيحة، وأن ما نفعله لا يكون دائماً صواباً أو مباحاً، كما أننا قد نتكاسل، ونتقاعس عن أمور كان ينبغي علينا القيام بها.

ـ يحتاج الأطفال إلى من يرشدهم إلى نوعية الحكم الذي يصدرونه، هل هو شخصي أو ذوقي أو قانوني أو شرعي، فحين يعاقب أستاذ طالباً، فيقول أحد رفاقه إن المعلم ظالم في هذا فهو حكم شخصي، وهو قابل للصواب والخطأ، وإن اشترى الأب لابنه قميصاً فلم يعجبه فهذا حكم ذوقي، والحكم الذوقي لا يوصف بأنه صح أو خطأ، وعلينا تقبله دون السخرية منه، والصيد في محمية طبيعية شيء يمنعه القانون، والقانون يتغير وقد يكون جائراً والأحكام القانونية تقبل الاعتراض والنقاش، والحكم بمنع المحرم من الصيد هو حكم شرعي تعبدي، والأحكام الشرعية تحتاج منا التطبيق والامتثال.

ـ يحتاج الصغار والكبار إلى أن يكونوا دقيقين في صياغة الأحكام التي يصدرونها، والحقيقة أن الدقة في استخدام اللغة تعبر دائما عن تقدم في الفكر وارتقاء في المعرفة وللتدريب تأثير كبير في هذا؛ لأن من المعروف أن الناس يتعودون استعمال عبارات محددة دون الوعي بمدلولها الدقيق، هناك مثلاً من يستخدم كلمة حرام للدلالة على كل ما لا يعجبه، وهو غلط إذ الحرام مفهوم له دلالته الشرعية.

إن تصحيحنا المستمر لتعبيرات الطفل، سوف يحسّن معرفته بمدلولاتها، ويوجد لديه عادات كلامية جديدة.

هناك كلمات تدل على ذوق مستخدمها وتهذيبه، ويحسن أن نرشد الأطفال إليها مثل لطيف ولائق مناسب، وغير مناسب، ونعلمهم حيثيات استخدامها .

نحن كثيراً ما نبالغ في حب أنفسنا وأولادنا وأقربائنا، وأننا نعتز بكثير مما يتصل بنا، فهناك من يمدح أسلوبه الشخصي في الحياة، وهناك من يمدح آباءه وأجداده، كما أن هناك من يمتدح داره وأثاث بيته والجامعة التي درس فيها.

إن كثيراً من الأطفال في بيئاتنا الإسلامية يسمعون يومياً العبارات التي تحط من شأن الأعداء، وترفع من شأن الأهل والأقرباء، وهذا يشكل عقلياتهم على نحو مشوّه، يجب أن نسمع من الأطفال ما ينطوي على قول الحق المجرد، ولو كان يمس مصالحنا، أو يخالف أهواءنا ورغباتنا، كما يجب أن ننهاهم عن قول الباطل، ولو انطوى على الثناء على الذات، وستر العيوب وتحقيق المصالح، فالمسألة مسألة قيام الله تعالى بالقسط والعدل، وليست مسألة ربح أو خسارة.

والمفهوم الثالث والأخير الذي أسس هو الصداقة

٣ -الصداقة: مفهوم الصداقة من المفاهيم التي تثير الكثير من الأسئلة عند الأطفال في وقت مبكر، وهو إلى جانب ذلك مفهوم مهم للغاية؛ لأن الإنسان لا يستغني عن وجود أصدقاء جيدين، والأطفال أشد حاجة إلى ذلك من الكبار، حيث إن من الملاحظ أن تعلق الطفل بأصدقائه تعلق كبير جداً، وهم يؤثرون فيه تأثيراً كبيراً

فالصديق هو صادق في مودته ومحبته، ويشتاق إليك، ويضحي بشيء من وقته وماله وجهده من أجلك، لا يحسدك على نعمة ولا يشمت بك في مصيبة، توفر هذه الصفات

يكون متفاوتاً في أصدقائنا، ويمكن أن نقول: إن الأصدقاء درجات والأصدقاء الممتازون، لا يكونون في العادة كثيرين، وإذا ظفر أحدنا بثلاثة أو أربعة من الأصحاب الذين تتوفر فيهم الصفات التي ذكرناها، فذلك فضل كبير من الله تعالى.

والآن سنحاول تخيل ما يخطر في بال الأطفال من أسئلة حول الصداقة وسنحاول الإجابة عنها بغية إثراء هذا المفهوم، وسيكون على المربين مناقشة هذه الأسئلة والأجوبة مع الأطفال، والعمل على الزيادة فيها، معا حتى تتبلور مدلولات هذه الكلمة ومعانيها في أذهانهم على أحسن وجه :

الطفل: هل كل الذين نختلط بهم يكونون أصدقاء لنا؟

المربي طبعاً لا، فهناك الأقرباء وهناك الزملاء في العمل والدراسة، وهناك الجيران، وهناك المعارف الذين نلتقي بهم في جلسة أحد الأقرباء، إن كل واحد من هؤلاء قد يكون صديقاً، وقد لا يكون،

الطفل: هل يمكن لبعض الأشخاص أن يتحدثوا مع بعضهم دون أن يكونوا أصدقاء؟

المربي: هذا كثير جداً، فنحن نتحدث مع أشخاص لا نميل إليهم، أو لا نحترمهم، كما أننا قد نتحدث مع أشخاص، ليس لنا بهم سابق معرفة، وتجري محادثات مطولة بين كثير من الأعداء في الأحيان.

الطفل: هل هناك أصدقاء يتشاجرون مع بعضهم؟

المربي : ذكرنا أن من الطبيعي اختلاف وجهات نظر الأصدقاء حول بعض الأمور، ومن النادر أن نجد صديقين متفقين في كل شيء، أما الشجار العنيف فلا يقع بين الأصدقاء الحقيقيين.

الطفل: هل هناك صداقة دائمة؟

المربي: الأصل في الصداقات أن تستمر، وذلك كثيراً ما يكون من

خلال حرص الصديقين على رعايتها والقيام بحقوقها، لكن الواقع

يشهد بأن ظروفاً كثيرة تطرأ، فتفتر بعض الصداقات كما أن كثيراً منها يتبدد بسبب سفر أحد الصديقين إلى مكان بعيد.

هذه بعض التساؤلات التي وردت بشكل مختصر

رعاية الصديق من خلال ثلاثة أمور:

ج- الكرم والبذل بين الأصدقاء، هذا صديق يدعو صديقه إلى بيته وهذا صديق يسمح لصديقه أن يركب معه في سيارة أهله يومياً إلى المدرسة.

ب الحرص على مصلحة الصديق، وهذه المصلحة قد تكون دينية وأخلاقية، وقد تكون مادية، ومن أهم ما يمكن للصديق أن يساعد فيه صديقه الاستقامة والبعد عن الأخلاق السيئة والصديق الصدوق ينصح صديقه ويوضح عيوبه، ويساعده على التخلص منها.

ج- تحمل أذى الصديق والصبر عليه.

شرح هذه المفاهيم وأشباهها للأطفال، يحتاج إلى وقت وصبر وقد يتطلب منا نحن الكبار أن نثقف أنفسنا أولاً، وفي هذا خير عظيم فما أجمل أن نتعلم ونعلم ونربي أ أنفسنا وصغارنا في آن واحد

نقاط للتذكر

ـ قصور المفاهيم هو القاسم المشترك بين كل الشعوب المتخلفة.

ـ معظم الآباء والأمهات لا يملكون الخبرة، ولا يملكون الطاقة الروحية المطلوبة لشرح المفاهيم العميقة.

- يهدف الحوار في الأصل إلى إضاءة النقاط المظلمة في عقول المتحاورين، وليس إلى الإقناع أو تحقيق الغلبة .

-حتى يؤتي الحوار ثماره فينبغي أن ينظر كل محاور إلى الحوار على أنه مصدر عظيم للتعلم وتعديل الأفكار.

-سكوت الكبار على أمر لا يدل على أنه مشروع أو صحيح، فقد يكون سكوتهم بداعي الخوف من ظالم، أو من أجل درء فتنة، أو مجاملة صديق.

ـ رعاية جميع العلاقات الاجتماعية، تعتمد على نحو أساسي على التضحية والعطاء المجاني.

تدريبات وتطبيقات

1ـ عود نفسك أن تسأل الطفل عن المعاني التي فهمها من كلامك وصحح له ما يقع فيه من أخطاء.

2ـ ناقش مع الطفل الأسباب التي تحمل المتحاورين على رفع الصوت ومقاطعة بعضهم لبعض أخطاء.

وأسأل الله أن ينفع من يقرأ هذه الكلمات و يجزي المؤلف خيراً على ما قدم

والحمد لله رب العالمين